# الحضارة العربية الاسلامية وتفاعلها مع الحضارات الانسانية

د/ عبد الحليم ندا

## مشكلة البحث :

تكاد لا تخلو بقعة علي سطح الأرض من المشكلات والصراعات سواء كانت صراعات فكرية أو مذهبية أو عقائدية أو حتي استعمارية وصار حتماً علي كل محب للحياة ومكارم الأخلاق أن يسعي لحل هذه المشكلات كل قدر استطاعته.

أهمية الدراسة :

إن معظم الصراعات التي تملأ المعمورة تؤول في النهاية إلي صراعات مسلحة لتحقيق أطماع معينة تكسر دولاً وتقسم أخري تضعف ثالثة فكان لابد من مجابهة تلك الصراعات لا بصراعات مضادة ولكن بوسائل وأدوات الرقي الإنساني , وذلك بنشر وتأصيل القيم السامية للحضارات الإنسانية من أسباب التفاهم والتسامح وقبول الآخر والالتزام بقواعد ومباديءالعدالة الإنسانية وكانت الحضارة الإسلامية نموزجاً رائعاً لتلك القيم والمباديء السامية , وحرصت الحضارة الإسلامية علي نشر تلك القيم في ربوع المعمورة , فحرصت علي نسخ الكتب الزاخرة بشتي العلوم والقيم الأخلاقية , وكان للكتاب دوره الفاعل في تلك المرحلة .

## فروض البحث:

1- إمكانية إحياء التراث الإسلامي وتحقيق التفاعل الإيجابي مع الحضارة المعاصرة بما يحقق النفع المتبادل.

2- إمكانية ترسيخ مفاهيم التعايش السلمي وإشاعة روح التسامح بين الشعوب.

أهداف البحث:

1- إظهار دور الجضارة الإسلامية وتفاعلها مع الحضارات الأخري لبناء مجتمع عالمي ينعم بالأمن والاستقرار ويحظي بالرقي والازدهار.

2- إلقاء الضوء علي الدور الحيوي للحضارة الإسلامية في الاهتمام ببناء الإنسان المبدع كلبنة لبناء حضارة عالمية.

DOI:10.12816/0040806

3- إظهار الدور الحيوي للكتاب في نقل الثقافة وشتي أنواع العلوم في ربوع المعمورة.

## منهج البحث:

يتبع البحث المنهج الاستقرائي التحليلي وذلك من خلال :

- دراسة التأثير التفاعلي للحضارة الإسلامية مع الحضارات الأخري.
- دراسة الكتاب العربي وأثره في نقل الحضارة الإسلامية إلي الغرب.

## خطة البحث:

تعتمد خطة البحث علي محورين أساسيين هما:

1- تأثير الحضارة الإسلامية في الحضارات الأخري خاصة الحضارة الغربية.

2- الكتاب وأثره البين في نقل الحضارة بما تحويه من علوم وفنون وآداب من مجتمع إلي آخر.

**Islamic civilization and its interaction with human civilizations**

Research problem :
Hardly devoid spot on earth of problems and conflicts, whether ideological or sectarian or ideological conflicts, or even a colonial and became inevitably every lover of life and morals should seek to resolve all these problems as much as possible.
the importance of studying :
Most of the conflicts that fill the globe eventually devolve into armed conflict to achieve the ambitions of certain countries break.
And divide and weaken other third
It was to be confronting these conflicts are not conflicts counter, but the means and tools of human progress, and the publication of rooting lofty values of human civilizations of the reasons for understanding, tolerance and acceptance of others and abide by the rules and principles of humanitarian justice was Islamic civilization is an impressive example of those values and principles Semitism, and made sure the Islamic civilization to spread those values across the globe, Vmutir copies rich Pesti science and moral values books, and the book was its active role at that stage
Results :
- Go to the cultural heritage - in thought and art - and its development linked with reality is a way to confront the conflicts.
- Interest in science and the development of culture and publishing mechanisms are an effective means of positive communication between peoples.
- Confront the extremist ideology thought the moderate is the way to build a moderately educated generation subliminal can bring about a new civilizational leap.

مقدمة :

الحضارة بمفهومها الشامل تعنى كل ما يميز أمة عن أمة من حيث العادات والتقاليد وأسلوب المعيشة والملابس والتمسك بالقيم الدينية والأخلاقية وقدرة الإنسان على الإبداع فى العلوم والفنون والآداب بحيث تصبح البيئة زاخرة بأسباب الرقى والإزدهار.

وتقاس حضارة شعب معين بمقدار الرقى والتقدم العلمى والتقنى الذى يتمتع به هذا الشعب ومما لاشك فيه أن أمة الإسلام قدمت أروع حضارة عرفتها البشرية حضارة أعطت لكل ذى حق حقه امتثالاً لأمر الخالق سبحانه، حضارة تعلى من شأن الفكرة وتحط من شأن الوش، وتقدم من القيم الجمالية ما كان أخلاقياً نافعاً يخدم الإنسان، ويعمرِّ الأرض، ويثرى الحياة ويعطيها معنى يعز على غيرها من الحضارات التى تعلى من شأن الجنس أو اللون، أومن شأن أمة بعينها تعيث فى الأرض فسادًا أو تحتقر غيرها وتنهب ثرواته وتغتصب حقوقه.

أما حضارة الإسلام فقد نصرت المظلوم، وأشاعت الحرية، وأعطت حق الحياة تحت راياتها لكل من عاش فى كنفها لايظلم ولايهان مصان الحقوق فى أمن قل أن يجده فى غيرها من الأمم. [1]

تفاعل الحضارات مطلب أساسي لتحقيق الأخوة الإنسانية

تؤكد الدراسات أن التفاعل بين الحضارات عموماً، وبين الفكر الإسلامي والفكر الغربي خاصة، لا يعني ذوبان حضارة في حضارة أخرى، كما لا يعني إحداث قطيعة معرفية مع الموروث الحضاري لكل حضارة، بل إن هذا التفاعل مشروط بأن يتم في جو من الاحترام المتبادل بين الحضارات، كي يكون ذلك باعثاً على التكامل الإيجابي الذي يُثري التجربة الإنسانية.

أشارت التوصيات الصادرة عن المؤتمر الدولي الخامس عشر للفلسفة الإسلامية، الذي نظمته كلية دار العلوم في جامعة القاهرة [2]

إلى أن التفاعل بين الحضارات يمثل سبيلاً من أعظم السبل لتحقيق التكامل والإخوة الإنسانية والتقارب بين الشعوب ، والإسلام، بما فيه من ملاءمة للفطرة، وبما تتسم به رسالته من صفة العالمية، يؤكد هذا الاتجاه وهو يدعو في عرض رسالته إلى التزام الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، ما يفتح الباب واسعاً للحوار الهادئ العقلاني طلباً للحق والخير ودفعاً لسوء الفهم الذي أصبح يعم العالم ويهدد مستقبله ولاحظ

المشاركون، أن العالم الإسلامي يقوم بنصيب قليل من التفاعل المؤثر في العلاقة بينه وبين العالم الغربي، الأمر الذي يدفعه إلى بذل مزيد من الجهد للقيام بدور مناسب وأن ذلك لن يتأتى إلا ببذل مزيد من الجهد من خلال الاهتمام بالعلم والبحث العلمي وزيادة البعثات العلمية للخارج، وألا تقتصر الجهود على الحكومات، بل ينبغي أن تمتد إلى الجامعات والمراكز العلمية، والمؤتمرات ومؤسسات المجتمع المدني.

و تبدأ الحضارة حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها) [1].

ولاطِّرَاد الحضارة وتقدُّمِها عواملُ مُتعددة: جغرافية، واقتصادية، ونفسية؛ كالدِّين واللغة والتربية، ولانْهيارها عواملُ هي عكس تلك العوامل التي تؤدِّي إلى قيامها وتطوُّرِها، ومن أهمها: الانحلال الخُلُقي والفِكري، واضطراب القوانين والأنظمة، وشيوع الظُّلم والفقر، وانتشار التشاؤم واللامبالاة، وفقدان الموجهين الأكْفَاء، والزُّعماء المخلصين.

وقصة الحضارة تبدأ منذ خُلِقَ الإنسان، وهي حلقة مُتصلة تسلمها الأمة المتحضرة إلى من بعدها، ولا تَختص بأرض ولا عِرْق، وإنَّما تنشأ من العوامل السَّابقة التي ذكرناها، ولا يكاد تخلو أمَّة من تسجيل بعض الصَّفحات في تاريخ الحضارة، غير أنَّ ما تَمتاز به حضارة عن حضارة إنَّما هو قوَّة الأسس الذي تقوم عليها، والتأثير الكبير الذي يكون لها، والخير العميم الذي يُصيب الإنسانية من قيامها، وكلما كانت الحضارة عالمية في رسالتها، إنسانية في نزعتها، خلقية في اتجاهاتها، واقعية في مبادئها، كانت أخلد في التاريخ، وأبقى على مرور الزَّمن، وأجدر بالتكريم.[2]

والحضارة الإسلامية حلقة من سلسلة الحضارات الإنسانية، سبقتها حضارات، وتبعتها حضارات، وقد كان لقيام الحضارة الإسلامية عوامل، ولانهيارها أسباب،

(1) قصة الحضارة – الجزء الأول: وول ديورانت.

(2) د. مصطفى السباعي 2013/10/23 http//:islamstory.com/ar

## خصائص الحضارة الاسلامية

إن أبرز ما يلفت نظر الدارس لـ الحضارة الإسلامية أنها تميزت بالخصائص التالية:

– أنَّها قامت على أساس الوحدانية المُطلقة في العقيدة؛ فهي أول حضارة تنادي بعبادة الله الواحد الذي لا شريك لـه في حُكمه وملكه، وهو وحده الذي يُعبد، وهو وحدَه الذي يُقصد؛ {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة:5]، وهو الذي يُعِزُّ ويُذِل، ويعطي ويَمنع، وما من شيء في السَّموات والأرض إلا وهو تحت قُدرته وفي مُتناول قبضته.

هذا السُّمُوُّ في فَهم الوحدانية كان له أثرٌ كبيرٌ في رفع مُستوى الإنسان، وتحريره من طُغْيَان الملوك والأشراف والأقْوياء ورجال الدِّين، وتصحيح العلاقة بين الحاكمين والمحكومين، وتوجيه الأنظار إلى الله وحدَه، وهو خالقُ الخلق وربُّ العالمين، كما كان لهذه العقيدة أثرٌ كبيرٌ في الحضارة الإسلامية، تكاد تتميَّز بـه عن كل الحضارات السَّابقة واللاحِقَة، وهو خُلُوُّها من كلِّ مظاهر الوثنية وآدابها وفلسفتها في العقيدة والحُكْم والفن والشِّعر والأدَب.

وهذه الوَحْدة في العقيدة تُطبِّع كلَّ الأُسس والنُّظم التي جاءت بها الحضارة الإسلامية؛ فهنالك الوَحْدة في الرِّسالة، والوَحْدة في التشريع، والوَحْدة في الأهداف العامة، والوَحْدة في الكِيَان الإنساني العام، والوَحْدة في وسائل المعيشة وطراز التفكير، حتَّى إنَّ الباحثين في الفُنُون الإسلاميَّة قد لاحظوا وحدة الأُسلوب والذَّوق في أنواعها المختلفة، فقطعة من العاج الأندلسي، وأخرى من النسيج المصري، وثالثة من الخزف الشامي، ورابعة من المعادن الإيرانيَّة – تبدو رغم تنوُّع أشكالها وزخرفتها ذات أسلوب واحد وطابَع واحد.

– وثاني خصائص الحضارة الإسلامية: أنَّها إنسانيَّة النزعة والهدف، عالمية الأفق والرسالة؛ فالقرآن الذي أعلن وحدة النوع الإنساني على الرغم من تَنوُّع أعراقه ومنابته ومواطنِه، في قوله – تعالى –: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ

أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: 13]؛ إنَّ القرآن حين أعلَن هذه الوَحْدة الإنسانية العالميَّة على صعيد الحق والخير والكرامة – جعل حضارته عقدًا تنتظم فيه جميعُ العبقريات للشعوب والأمم، التي خفقت فوقها راية الفتوحات الإسلاميَّة؛ ولذلك كانت كلُّ حضارة تستطيع أنْ تفاخر بالعباقرة من أبناء جنس واحد وأمَّة واحدة؛ إلا الحضارة الإسلامية، فإنَّها تفاخر بالعباقرة الذين أقاموا صَرحها من جميع الأمم والشعوب، فـ أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، والخليل وسيبويه، والكندي والغزالي والفارابي وابن رشد، وأمثالهم مِمَّن اختلفت أصولهم، وتباينت أوطانهم ليسوا إلا عباقرةً قدمت فيهم الحضارة الإسلامية إلى الإنسانية أروَع نتاج الفِكر الإنساني السليم.

– وثالث خصائص الحضارة الإسلامية: أنَّها جعلت للمبادئ الأخلاقيَّة المحلَّ الأول في كلِّ نظمها، ومُختلف ميادين نشاطها، وهي لم تتخلَّ عن هذه المبادئ قطُّ، ولم تجعلها وسيلة لِمنفَعة دولة أو جماعة أو أفرادٍ، في الحُكم، وفي العلم، وفي التشريع، وفي الحرب، وفي السلم، وفي الاقتصاد، وفي الأسرة؛ لقد رُوعِيت المبادئ الأخلاقية تشريعًا وتطبيقًا، وبلغت في ذلك مبلغاً ساميًا بعيدًا لم تبلغْه حضارة في القديم والحديث، ولقد تركت الحضارة الإسلامية في ذلك آثارًا تستحق الإعجاب، وتجعلها وحدَها من بين الحضارات التي كفلت سعادة الإنسانية سعادةً خالصةً لا يشوبها شقاء.

– ورابع هذه الخصائص: أنَّها تُؤمن بالعلم في أصدق أصوله، وترتكز على العقيدة في أصفى مبادئها، فهي خاطبَت العقل والقلب معًا، وأثارت العاطفة والفِكر في وقت واحد، وهي مَيْزة لم تشاركها فيها حضارة في التاريخ، وسِرُّ العجب في هذه الخِصِّيصة من خصائص الحضارة الإسلامية: أنَّها استطاعت أن تنشئ نظامًا للدولة قائمًا على مبادئ الحقِّ والعدالة، مرتكزًا على الدِّين والعقيدة، دون أن يُقيم الدين عائقًا من دون رقيِّ الدولة واطراد الحضارة؛ بل كان الدين من أكبر عوامل الرُّقي فيها، فمن بين جدران المساجد في بغداد ودمشق والقاهرة، وقرطبة وغرناطة – انطلقت أشعة العلم إلى أنْحاء الدنيا قاطبة.

إن الحضارة الإسلامية هي الوحيدة التي لم يُفصل فيها الدِّين عن الدولة، مع نجاتها من كلِّ مآسي المزج بينهما كما عرفته أوربا في القرون الوسطى، لقد كان رئيسُ الدَّولة خليفةً وأميرًا للمؤمنين؛ لكن الحكم عنده للحقِّ، والتشريع للمُختصِّين فيه، ولكلِّ فئة من العلماء اختصاصُهم، والجميع يتساوَوْن أمام القانون، والتفاضل بالتَّقوى والخدمة العامة للناس؛

"وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"، "الْخَلْقُ عِيَالُ اللَّهِ، وَأَحَبُّهُمْ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ".

هذا هو الدِّين الذي قامت عليه الحضارة الإسلامية، ليس فيه امتيازٌ لرئيس، ولا لرجل دين، ولا لشريف ولا لغني؛ {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ} [الكهف:110].

– وآخر ما نذكر من خصائص الحضارة الإسلامية: هذا التسامح الديني العجيب، الذي لم تعرفه حضارة مثلها قامت على الدِّين؛ إن الذي لا يؤمن بدين ولا بإله لا يبدو عجيبًا إذا نظر إلى الأديان كلِّها على حدٍّ سواء، وإذا عامل أتباعها بالقسطاس المُستقيم؛ ولكنَّ صاحب الدين الذي يؤمن بأنَّ دينه حق، وأن عقيدته أقوم العقائد وأصحها، ثم يتاح له أن يحمل السيف، ويفتح المدن، ويستولي على الحكم، ويجلس على منصة القضاء، ثم لا يحمله إيمانُه بدينه، واعتزازُه بعقيدته على أنْ يجورَ في الحكم، أو أن ينحرف عن سنن العدالة، أو يحمل الناس على اتِّباع دينه، إن رجلاً مثل هذا لعجيب أن يكون في التاريخ، فكيف إذا وُجد في التاريخ حضارةٌ قامت على الدِّين، وشُيِّدت قواعدُها على مبادئه، ثُمَّ هي من أشد ما عرف التاريخ تسامحًا وعدالة ورحمة وإنسانية؟!

ومن أهم مظاهر هذه الحضارة الاسلامية أنها لم تغفل الجانبين الروحي والمادي في حياة الإنسان، لذلك نجد أن الحضارة الإسلامية برزت في مجالات متعددة، بحيث ترقى بالإنسان في كل مستويات حياته، ومظاهر هذه الحضارة تمثلت في الجوانب التلية:

1- الجانب السياسي.
2- الجانب الاقتصادي.
3- الجانب الاجتماعي.
4- الجانب العلمي.
5- العلاقات الدولية.
6- النظام التشريعي.
7- النظام القضائي.
8- الجانب العسكري.
9- الجانب المعماري

ولايتسع المجال للحديث عن كل هذه الجوانب فهي تحتاج لبحث مستقل.

هذا ما صنعته حضارتُنا، وحسبنا أنْ نعرف أن حضارتَنا تتفَرد في التاريخ بأن الذي أقامها دينٌ واحدٌ؛ ولكنَّها كانت للأديان جميعًا.

## تفاعل الحضارة الاسلامية مع الحضارات الأخري

تشكِّل الحضارة الإنسانية منذ نشأتها وحتى الآن نسيجاً متعدد الألوان، كلّ خيط فيه – مع احتفاظه بكينونته الخاصة – يعطي بتلاحمه مع بقية الخيوط لهذا النسيج متانته وشكله النهائي، مثله في ذلك كمثل لوحة فسيفساء كل جزء منها مستقل بذاته، ولكن اصطفاف هذه الأجزاء وفق قوانين بنائها يعطي اللوحة النهائية رونقها الخاص الذي يستمد جمالياته من تفاعل هذه العناصر مع بعضها البعض.

ومع اختلاف العوامل والجغرافية والاقتصادية لكلّ شعب من الشعوب كان لا بدّ للتجربة الإنسانية من أن تكون متفاوتة في النمو والنضج من منطقة لأخرى ومن زمن لآخر ومن شعب لآخر..

## من صور التفاعل المتبادل بين الحضارة الإسلامية والصينية

ان التفاعل بين المسلمين والصينيين كان تفاعل علم وحكمة ولم يكن تفاعلاً عدوانياً ولا عسكرياً، بل كان تفاعلاً سياسياً وسلمياً قام على مفهوم تبادل المصالح والتأثير المتبادل من الطرفين،

لقد استفاد المسلمون من الصينيين في مجالات الطب والصيدلة والملاحة البحرية وصناعة الخزف، بالإضافة الي العلوم الأخري التي حدت بالمسلمين ليقولوا نقلاً عن النبي صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو في الصين. وكانت الصين أكثر تقدماً من غيرها من الدول عندما ظهر الإسلام، وتعد الصين أكثر الحضارات سلمية ولم تخرج غازية لأراضٍ أخرى كما حدث من الشعوب والحضارات الأخرى.

أما بالنسبة لمبدأ التوافق واستيعاب الآخر ، كانت المدارس الفكرية تتباري أو تتصارع سلمياً وتعيش الكونفوشية مع البوذية مع الطاوية وهكذا، ولعل الحكمة الصينية التقليدية قولهم «دع مائة مدرسة فكرية تتباري ومائة زهرة تتفتح». وقد استفاد الصينيون من التقدم العلمي في الحضارة الإسلامية،في فن العمارة وعلوم الفلك ومن الإدارة الإسلامية عندما حكم بعض المسلمين العرب في بعض مناطق الصين، وهم لم ينكروا ذلك بل إن متحف الحضارة والثقافة العربية الإسلامية في مدينة شوانجو خير شاهد علي ذلك

## أثر الحضارة العربية والإسلامية في الحضارة الغربية (1)

يذكر ابن خلدون في مقدمته ان بغداد كانت المركز الثقافي لبلدان الشرق وسوقا تجاريا عالميا تتعامل مع نيسابور وبخارى وطاشقند والقاهرة والقيروان وقرطبة , وكانت بغداد السوق المالية المزدهرة متحكمة في دينارها الذهبي ودرهمها الفضي , وفي الوقت نفسه كانت انهار الثقافة تتدفق على بغداد من ينابيعها القديمة في مصر وبابل والشام لتفجر بركان الأبداع في عاصمة الأمبراطورية الأسلامية حتى غدت منارا للأشعاع الفكري ورائدة للنهضة الثقافية , فقد ادخل الخليفة العباسي المأمون الى بلاطه اساطين العلم والمعرفة من شتى الأرجاء لينشروا ما عندهم ويترجموا الكتب اليونانية واللاتينية والفارسية والهندية والسريانية الى اللغة العربية وبذلك اغنوا البلاد بعلمهم الوافر ومعرفتهم الواسعة وابداعاتهم الخلاقة .

وبينما كانت اروبا تعيش في ظلام القرون الوسطى تعاني شعوبها منذ سقوط روما اقسى صنوف العذاب من الفقر والجهل والمرض لفترة جاوزت اكثر من الف عام، كانت العواصم في الوطن العربي الكبير كبغداد زمن العباسيين والقاهرة زمن الفاطميين وقرطبة زمن الأندلسيين تطفح بالأزدهار الحضاري الزاهي ساطعة انوارها المعرفية لا على بلدان المنطقة فحسب بل جاوزتها الى البلدان الأروبية ودخلت جامعاتها .

كان هؤلاء العلماء والكتاب والمبدعين من خلفيات مختلفة جمعتهم عالمية الإسلام , انهم كانوا طلاب علم لا طلاب فقه فحسب , فقد تجلت علومهم بالثورة الفكرية التي افرزت العصور الذهبية , انهم كانوا متنوعين في العرق واللغة والدين والمذهب لكن ربطتهم رؤية معرفية ولغة ثقافية واحدة , الا وهي لغة القرأن الكريم التي كانوا يتحاورون بها ويؤلفون فيها وقد استفادوا من موقف الأسلام السمح في اندفاعاتهم نحو العلم اندفاعا لا يحفل بتعسفات الحكام او بمضايقات البيئة وكان العلم لديهم تكليفا حث على تحصيله كتاب الأسلام ورسوله الأعظم , قوله تعالى «قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون» آيه (9) الزمر ، و«قل هل يستوي الأعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور»؟ آيه (16) الرعد كان هؤلاء النخبة من الأعلام يمثلون جل العالم المتحضر على وجه الأرض كان منهم فلكيون وصيادلة واطباء وفلاسفة وادباء وعلماء طبيعه ورياضيون امثال الخوارزمي والكندي و المتنبي والرازي وابن سينا وابن رشد وسيبويه والخيام , واما ابن الهيثم البصري المولد فقد وصفه الكاتب الأمريكي المعاصر ميشيل هاملتون مورغان بأنشتاين زمانه لأنه اكتشف نظريات علمية ساعدت كل من كوبرنيكوس ونيوتن من تحقيق اهدافهم العلمية بعد ستمائة سنة. وكتاب القانون في الطب لأبن سينا الغني عن التعريف حيث اعتمد كمرجع اساسي لدراسة الطب في الجامعات



(1) د . رضا العطار - مارس 2011

الأروبية طيلة خمسمائة سنه , اي. الى اواخر القرن الخامس عشر , ولا زالت اكثر جامعات العالم شهرة تحتفظ حتى اليوم بتماثيله وتسمي قاعاتها بأسمه. فجامعة اكسفورد تزين مكتبتها بتمثال ابن سينا الى جانب ارسطو وافلاطون اعترافا بقيمته العلمية.

بدأت علاقة العرب مع الغرب قديما عندما اجتاحت جيوش الأسكندر المقدوني بلدان المنطقة العربية في القرن الرابع قبل الميلاد، وبعد ظهور الأسلام بدأ التماس مع الغرب يتسم بالعلاقات التجارية التي تطورت تدريجيا وتوثقت مثلما توطدت مع ممالك العجم كالفرس والأفغان والترك بعد ان اصبحت بغداد مركزا للتعايش السلمي مع القوميات المتباينة، فلم يحاول الأسلام تغيير خصائص هذه القوميات انما سعى جاهدا الى بلورتها ودفعها في اتجاه التقدم الحضاري .

وبعد اتساع الأنتاج الزراعي والحرفي والثقافي في بلاد العرب وفي مقدمتها بلادالرافدين، اخذت تباشير الحضارة الأسلامية تصل الى اروبا عبر بوابة اسبانيا ومن ثم جزيرة صقلية واخيرا عن طريق الحروب الصليبية التي لعبت دورا كبيرا في نقل الحضارة العربية الى شعوب اروبا .

عندما عبر طارق ابن زياد بجيشه الصغير المضيق الى اسبانيا في العام الثمانين من الفتوحات الإسلامية , استقبله سكانها المحليون وساعدوه لتحريرهم من نير سلطة القوط البرابرة , فكانوا حقا شركاء في الفتح المبين. وقد تمكن هذا القائد الفذ من انشاء دولة ظلت اثار عظمتها في العلم والعمران , قائمة ومثيرة حتى هذه اللحظة.

العمارة الإسلامية في قرطبة - قصر الحمراء بغرناطة.

مسجد قرطبة الكبير من الداخل

يقول المؤرخ الشهير – غوستاف لوبون – كانت اسبانيا زمن القوط ذات رخاء قليل وثقافة واطئة , ولكن بعد ان دخلها العرب في القرن الثامن الميلادي بدأوا ينشرون فيها رسالة الحضارة , فأستطاعوا في اقل من مئة عام ان يحيوا خراب الأرض ويقيموا افخر المباني وينشطوا الحركة التجارية , بعدها تفرغوا الى دراسة العلوم والأداب وترجمة الكتب الأجنبية وتأسيس الجامعات التي كانت وحدها الملجأ الوحيد لثقافة اوروبا لزمن طويل – وقد نمت مدينة قرطبة بسرعة حتى زاد عدد سكانها على المليون نسمة وغدت الحياة فيها متسمة بالرفاه والنعيم .

بدأ المسلمون في تأسيس حضارة متفوقة جعلت من اسبانيا اجمل واغنى البلدان الأروبية وانشأو مدن كبيرة مزدهرة لم يكن لها نظير على وجه الأرض , خططها مهندسون واسعو الأطلاع وشيدها بناؤون مهرة فغدت قرطبة عاصمة الأندلس مركز الثقافة لبلدان اروبا قاطبة.

كانت شوارع العاصمة تزيد على عشرة اميال طولا وقد عبدت وتمت انارتها في الوقت الذي كانت فيه شوارع لندن وباريس ترابية وعرة وكان المواطنون يشقون طريقهم اثناء الليل في الظلام الحالك بصعوبة.

يقول المؤرخ الفرنسي دريبار نحن الأروبيون مدينون للعرب بالحصول على اسباب الرفاه في حياتنا العامة , وعرف عن قرطبة انها كانت تزخر بحماماتها الثلاثمائة.

لقد ازدهرت العلوم والأداب والفنون تحت سماء الأندلس وتطور فن الشعر وغدا زاهيا , فتح لخيال الشعراء افاقا رحبة للعمل الخلاق واصبح الأسلوب الشعري اكثر غنا ومتانة والأقدر على التعبير عن جمال المشاعر الأنسانية و رفاهة ورقة الأحاسيس . حتي أن الخليفة خرج بنفسه لأستقبال عالم موسيقي قدم الى البلاد زائرا.

كانت دولة الأسلام في الأندلس ترعى العلوم والأداب والفنون فكانت تكثر من انشاء المعاهد , كانت في العاصمة وحدها ثلاثة الاف مدرسة تشمل مناهجها على مختلف العلوم كالرياضيات والفلك والزراعة والفقه والجغرافيا والطب.

مخطوطة من القرن الخامس عشر، ترسم عربي وغربي يتدارسان الهندسة سويًا.

اما في مجال انتقال القيم الأخلاقية من المشرق الأسلامي الى الأمم الأروبية بوسائل ثقافية , يخبرنا التاريخ ان مشاهير الفكر في فرنسا امثال فولتير وجان جاك روسو كانوا قد درسوا المعارف العربية المترجمة واستوعبوا مفاهيمها الروحية .

وقد حث هذا الحكيم بني جنسه على تعلم اللغة العربية ليتسى لهم الأطلاع على علوم العرب . وعلى هذا النهج انشئ معهد لترجمة التراث العربي عام 1085 , ومدرسة للطب في مدينة مونت لير في فرنسا عام 1137 والتي تطورت فيما بعد الى جامعة . . اما خط التماس الثالث فقد تم عن طريق الحروب الصليبية

لقد توثقت العلاقات الثقافية بين المسلمين والغرب وكانت اولى ثمراتها تأسيس جامعة باريس عام 1160 ثم جامعة اكسفورد كفرع لها , ثم جامعة كامبرج عام 1209. والجدير بالذكر ان المناهج الدراسية لهذه الجامعات كانت هي نفسها التي تدرس في المعاهد الأسلامية دون تبديل او تجديد او تعديل . اما في مجال سياسة التسامح العقائدي في الأندلس فقد منح المسلمون العرب الحرية الكاملة لليهود والنصارى لممارسة طقوسهم الدينية واصبح في مقدورهم مشاركة المسلمين في الحياة الأجتماعية والسياسية , فعاشوا حياة رغيدة مستقرة ظهر منهم اطباء ومهندسون وتجار بارزون , وكان لبعضهم مناصب في ادارة الدولة وفي الجيش . وامتد التسامح الأسلامي ليشمل اليهود ايضا حيث برز الكثير منهم على الساحة العربية وحصلوا على مناصب حكومية مهمة وحسبنا ان المفارقة تكاد ان لا تصدق , عندما نقارن سعة التضاد بين النوازع العدائية لمسيحي اسبانيا بعد عام 1492 وليهود اسرائيل هذا اليوم وبين النزعة الأنسانية السمحاء للمسلمين الذين فتحوا لهم الباب على مصراعيه لممارسة طقوسهم بكل حرية وساووهم في الحقوق والواجبات .

ان ما اخذه الغرب من العرب كانت اعمالا مبتكرة ومتفوقة , اية ذلك انه حتى في نهايات القرن الخامس عشر كانت مراكز التعليم في اوروبا تدرس العلوم الطبيعية في جلها من مؤلفات عربية ففي الطب كانت كتب ابن سينا والرازي وفي الكيمياء كانت اعمال جابر ابن حيان وفي علم الضوء كانت مكتشفات ابن الهيثم .

ان من طبيعة الحضارات انها لا تتصادم بل تتقابل وتتعارف , ورغم الحروب التي جرت بين الأمم في عصورها الماضية الا انها في اخر المطاف كانت في كل امة حضارة من انتاج امة اخرى كانت معها بالأمس في تناحر دائم .

وفي الختام اقول – لقد حظيت بلدان اوروبا في عصورها المظلمة بحضارة عربية رائدة ونهضة ثقافية صاعدة كانت لها بمثابة نور وهداية ساعدتها على الخروج من ركودها التقليدي ودفعت بها بأتجاه بناء صرح مدنية راقية اضحت معطياتها الأنسانية تصبغ حياتنا المعاصرة بكل تقنياتها الحديثة

أما المسلمون فقد غفلوا حتي ضاعت منهم حضارتهم ولم يأخذوا بأسباب التقدم والرقي التي أخذ بها المسلمون الأوائل وأقاموا بها حضارتهم فأصبحوا الآن تابعين بعد أن كانوا متبوعين ويسعي الغرب حريصين كل الحرص علي إبقائهم هكذا حتي لاتقوم لهم قائمة علي عكس ما فعلت معهم الحضارة الإسلامية

وفي هذا السياق لاألوم الغرب بل ألوم نفسي ومثقفي، ومفكرى قومي ، لعل الله يهيء لنا من أمرنا رشدا .

## الكتاب وصناعة النشر

من الإشكالات التي تواجه صناعة النشر في الوطن العربي وأولها انتشار الأمية بالرغم من الجهود الحثيثة التي بذلت لمحاولة فرض التعليم الإلزامي، إلا أن الأمية مازالت متفشية بنسب مختلفة في البلدان العربية. فمن الإشكالات ابتعاد المتعلمين عن القراءة، وهجرهم الكتاب بعد مغادرتهم مقاعد الدراسة، بالإضافة إلى سيطرة الأنظمة ذات الاتجاه الواحد على مقادير الدولة، وفرض نظام رقابي صارم على الكتب، والمنع العشوائي لدخولها وبحسب مزاج الرقباء. كما أن انتشار القرصنة للكتب واستباحة حقوق المؤلف، ونشرها على الشبكة (الانترنت) حدَّ من عملية الإبداع في التأليف. ومن المشكلات التي تواجه الكتاب تجرؤ الناشرين على التوسع في إنتاجهم وخوفهم من ضياع الحقوق على الشبكة، وخاصة أن قوانين حماية الملكية الفكرية مازالت في البلدان العربية متخلفة عن مستجدات العصر والتطورات التكنولوجية المتسارعة. كذلك فإن غياب الشركات الموزعة للكتب في معظم البلاد، وتقصير الصحافة عن التعريف بالمنشورات والترويج لها، وتزايد الرسوم الجمركية والارتفاع العالمي لأسعار الورق، كانت من المعوقات التي أثرت علي الكتاب وصناعة النشر.

مخطوطة عربية تشرح ظاهرة خسوف القمر.

## الكتاب العربي ودوره في قيام النهضة الأوروبية الحديثة

وعن الكتاب العربي ودوره في قيام النهضة الأوروبية الحديثة، قال الدكتور أحمد الصديقي إن الترجمة كان لها دور كبير في الحوار بين الحضارات، وأن مدينتي طليطلة بالأندلس وصقلية يعتبران من أهم المراكز الأوروبية لترجمة النصوص العربية ونقل التراث العربي المكتوب من العالم العربي لأوروبا.

وأكد أن الكتاب العربي أسهم في تطور الفكر في أوروبا، حيث قدم المادة العلمية الكافية للتدريس، وقدم دراسات خاصة بالجامعات للكتب في مختلف العلوم، وساعد في إعادة طريقة التفكير والبحث الأوروبية.

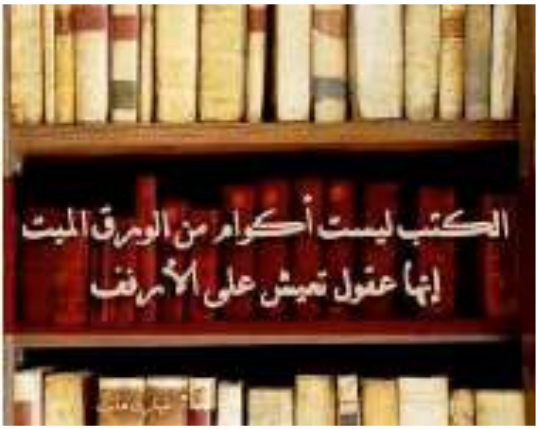


من جانبه، تحدث مراد تدغوت عن الكتاب العربي الطبي والتواصل الحضاري، مبينًا أن العرب تمكنوا من بناء صرح علمي طبي ضخم أفادوا به الحضارة الأوروبية. وأوضح أن الكتاب الطبي العربي مر بثلاثة مراحل؛ هي: النقل عن اليونانية، وفترة ازدهار الطب العربي، ونقل اللاتينية عن العربية.

وقال إن كتاب «القانون» لابن سينا و"الكليات في الطب" لابن رشد يعتبران من أهم النماذج التي استفادت منها أوروبا، والتي قامت بالتأثير في طرق الكتابة الأوروبية.

وتحدث الدكتور يوسف فضل عن العلاقة التبادلية بين انتشار الإسلام، والكتاب العربي في أفريقيا، مبينًا أنه قد استند كل منهما على الآخر، فقد كان الكتاب العربي أداة لنشر الإسلام ونتيجة لانتشار الإسلام في نفس الوقت. وأكد أن الإسلام قد مثّل الدعامة الأساسية للثقافة العربية إذ أعطاها البعد العقائدي، وشجّع معتنقيه على العلم والتعلم ومعرفة الكتابة. وربما

كان هذا التوجيه هو العامل الثاني، بعد التمازج مع الشعوب الجديدة عقب الفتوحات الإسلامية، لازدهار الكتاب العربي.
وقال إن العامل الثالث الذي أثّر في انتشار الكتاب العربي وازدهاره، واعتماده كأحد أهم أدوات التواصل الحضاري والثقافي هو حب العرب للكلمة المكتوبة، وهو حب عبروا عنه بحبهم للحرف العربي نفسه.
إن الثقافة العربية الإسلامية كانت همزة الوصل المهمة بين الحضارت القديمة وحضارة العصر الحديث، وكان الكتاب العربي بذلك جديرًا بالتأريخ لمسيرته والتقييم لدوره الحضاري.
وقد كان للترجمته من اللغة العربية وإليها الأثرُ البالغ في التنوع الثقافي الذي يعكسه الكتاب العربي، وذلك لما يحمله من علوم الأمم السابقة وآدابها من جهة، ولما أضافته الثقافة العربية الإسلامية من نتاج علمائها ومفكريها على اختلاف أعراقهم وبلدانهم من جهة أخرى، الأمر الذي أوجد في عصر النهضة مادة غنية من العلوم والمعارف مخطوطة باللغة العربية، فشجع على ترجمتها ودراسة بعضها في الجامعات الأوروبية خلال تلك الفترة التي كانت أوروبا تتلمس فيها دروب النور نحو مستقبلها الواعد.

## الثقافة العربية الإسلامية بين التأثر والتأثير

ما من إنسان ينكر، فضل اليونان على العقل والفكر الإنساني، فقد كانوا أول من ابتدع أسس العلوم المختلفة, وحضارتهم ما زالت تحيى حضارتنا الإنسانية اليوم. فضل اليونان كبير على حضارة العقل والفكر، وفضل الرومان كبير على حضارة السياسة والدولة والقانون. والفكر والعقل لم يلقيا الاهتمام الزائد من الرومان، الذين تفرّغوا إلى تنمية سياسة الدولة، ووضع القوانين لها وتوسيع حدودها.
أمّا العرب فقد دمجوا الاثنين وساروا في طريق أسلافهم اليونان والرومان، حاملين مشعل الفكر والعلم من جهة، وصولجان السياسة والدولة من الجهة الأخرى. وإذا كان لليونان فضل على حضارة العلم والفكر الإنساني، وللرومان فضل على حضارة السياسة والدولة، فإن للعرب الفضل الكبير على كلتا الحضارتين.
وقد ورث العرب عن الهنود والفرس واليونانيين والرومانيين، أسس العلوم والحضارات، واتخذوها أساسا لهم ونبراسا، يهتدون به إلى طريق الابتداع والتجديد في شتى الميادين.
وفي زمن الخلفاء الراشدين، وخلفاء بني أمية، تفرّغ المسلمون للفتوحات وإخضاع الدول المجاورة المنقرضة. وفي زمن خلفاء بني عباس، بدأت الدولة في الاستقرار، وبدأ عهد الفتوحات في التلاشي. وعندها بدا العرب يولون الاهتمام الخاص للفكر والعلم، وعندها ظهر المأمون الذي وضع جميع إمكانياته تحت تصرف العلماء ورجال الفكر من مختلف الأديان

والجنسيات، من هنود وفرس وإفرنج ويهود ومسلمين. وخدمة للعلم وانتصارا لحضارة الفكر على حضارة الدولة والسياسة، أسس المأمون أكبر مؤسسة لترجمة الآداب العالمية والعلوم الأجنبية إلى اللغة العربية: لقد أسس المأمون (بيت الحكمة) الذي أخذ على عاتقه نقل آداب العالم إلى العرب، ونقل آداب العرب إلى العالم. وانتشر سعاة المأمون في جميع بقاع المعمورة، مفتشين عن رجال العلم ومؤلفاتهم، ودفعوا أثمان باهظة لجمع الكتب والمؤلفات.

وكان لهذه المؤسسة الشهيرة، الأثر الكبير في المحافظة على الحضارة الإنسانية من الاندثار والضياع, وبواسطتها نقل العرب العلوم والآداب والفنون إلى لغتهم وأخذوا بعد ذلك بتطوير هذه العلوم وترقيتها. وهكذا أنشأ العرب حضارة وكان لهذه المؤسسة الشهيرة، الأثر الكبير في المحافظة على الحضارة الإنسانية من الاندثار والضياع, وبواسطتها نقل العرب العلوم والآداب والفنون إلى لغتهم وأخذوا بعد ذلك بتطوير هذه العلوم

دورق ألدروفانديني، وهو دورق من الزجاج البندقي مزخرف بالمينا، استمد تقنيته ونمطه من الفن الإسلامي (1) يرجع لعام

(1) Examining the enamel on the Aldrevandini beaker .« British Museum »

وترقيتها. وهكذا أنشأ العرب حضارة شرقية عربية ترتكز على أعمدة كلاسيكية دون أن تكون تقليدا للأساس، بل بناءاً جديداً يدعمه ذلك الأساس. وقد حفظت هذه الحضارة استمرار الحضارة الإنسانية، بل بقيت وحدها خلال القرون الوسطى. وفي هذا يقول المؤلف ستانسلاس غويارد: «إن تاريخ الإسلام في القرون الوسطى هو تاريخ الحضارة نفسها».

ولم تنحصر رغبة العلماء العرب في البحث والاستقصاء والعلم، بتصنيف المؤلفات عن الممالك والدول، بل تعدت ذلك إلى النجوم والكواكب والسماء والأرض، فراحوا يحسبون المسافات بين الأرض والكواكب ومواقع النجوم وأبعادها وارتفاعها. ومن أهم علماء الفلك هؤلاء: الفرغاني صاحب كتاب "الحركات السماوية " و " جوامع علم النجوم" . وهذا بدوره أدى إلى تطور عجيب في علم الرياضيات، لم يعهده ذلك العصر. أما تطور سائر العلوم، كالطب والعلوم الدقيقة، فكان للعرب القسط الوافي منه. فبينما كان الأوروبيون لا يزالون يعيشون في دياجير الظلم والانكماش، كانت قصور الخلفاء محطا لرحال رجال العلم من سائر أنحاء العالم. ويعترف عالم اليوم بفضل العرب لمحافظتهم على آداب القدماء وعلومهم وابتداعهم مبادئ العلوم الجديدة كالجبر وطب العيون.

مخطوطة عربية ، قديمة ،
معنونة تحت اسم علم تشريح العين.

## تأثر الأوروبيين بعلوم العرب:

أخذ الاتصال يزداد بين المسلمين والأوروبيين، كلما ازدادت مقدرة الدولة الإسلامية، حتى أن الخليفة هارون الرشيد تبادل البعثات «الدبلوماسية» مع شارلمان الإفرنجي في الفترة ما بين 797 – 806

وكان من الطبيعي أن تبدأ في أوروبا، حملة ترجمة واسعة النطاق للمؤلفات العربية. وهكذا نقلت مؤلفات كثيرة إلى اللغتين العبرية واللاتينية، ومنها إلى سائر اللغات الأوروبية المحلية. وليس ثمة من شك في أن حملة الترجمة هذه، ونقل مآثر الحضارة العربية – الشرقية إلى أوروبا، أدى إلى بعث النهضة الأوروبية التي حلت في القرنين الخامس عشر، والسادس عشر، ملقية وراءها مئات السنين المظلمة في تاريخ أوروبا والبشرية جمعاء. وكان أهم مركز للترجمة في مدرسة أسقف طليطله (طوليدو) في الأندلس تحت إشراف ارشيدكون دومينيكيو

غوندسلافي واليهودي يوهانس بن دافيد. وقد نقلت هناك إلى اللاتينية معظم المؤلفات العربية خلال عشرين عاما. وكان أهم المترجمين جيرارد من كريمونا الذي ترجم أولا كتاب «المجسطي» سنة 1175، ثم رحل بعد ذلك من ايطاليا إلى الأندلس، وقام هناك بترجمة مؤلفات الخوارزمي، والفرغاني، والنيريزي، وثابت بن قرة، وبنو موسى، والبيروني، وجابر بن أفلح، والزرقلي .

وفي القرن الثالث عشر، قام فريق من العلماء الطليان والأوروبيين، بترجمة مصنفات عربية كثيرة. وهكذا انتقلت هذه الحضارة التي تشمل حضارة اليونان والرومان والأمم المندثرة إلى أوروبا. وحتى زمن ليس ببعيد، بقيت الجامعات الأوروبية، تدرّس الطب والعلوم الطبيعية والرياضيات والجغرافيا من كتب عربية مذيّلة بترجمة لاتينية.

## في الألفية القادمة...

سوف يتغير كل شيء في الكتاب، شكله وحجمه وطرق خزن المعلومات فيه، وسبل استرجاعها، وستتغير أساليب الكتابة، والقراءة، وسائر طرق التوثيق والتعليم، ووسائلها، وسيذهب ورق الكتاب ومداد الكاتب، وقصص الرقيب، وتعليمات الوصي، وقوالب الأيديولوجيات.. إلى متاحف التاريخ مع الديناصورات، وسوف يتحرر الحرف والكلمة والكتاب من سائر القيود والحدود وتنمو الأفكار.

## نتائج الدراسة :

- العودة إلي التراث الحضاري – فكراً وفناً – وتطويره مع ربطه بالواقع هو السبيل لمواجهة الصراعات الدائرة.
- الاهتمام بالعلم وتطوير آليات الثقافة والنشر وسيلة فاعلة للتواصل الإيجابي بين الشعوب.
- مواجهة الفكر المتطرف بالفكر الوسطي المعتدل هو المخرج لبناء جيل مثقف معتدل واعي يمكنه إحداث نقلة حضارية جديدة.